

منظومة المعرفة البشرية والعقل الكوني

د. حامد حمزة حمد

استاذ فلسفة التاريخ في كلية التربية جامعة واسط - العراق

وليد مهدي مسلم

معيد في كلية العلوم ، قسم علوم الحياة ، جامعة واسط - العراق

waleedmahdi2002@yahoo.com

مستخلص

ان هذه الدراسة هي قراءة موجزة ومكتفة في نفس الوقت لواقع التطور التاريخي للمعرفة البشرية والتي تمر بثلاث مراحل هي مرحلة الفلسفة النظرية، مرحلة العلوم التجريبية، ومرحلة الثالثة تنفرد بها هذه الدراسة سميت منظومة المعرفة البشرية وهي بواقع الحال منظومة ستنبثق في المستقبل من واقع وسياق التطور الحتمي التاريخي للمجتمع الانساني وستؤدي في النهاية الى ولادة العقل الكوني او العقل العالمي الذي تسير الان خطواته التطورية الاولى جنبا الى جنب مع تطور الاقتصاد العالمي والذي سيلتقي مع منظومة المعرفة البشرية لولادة العقل الكوني.

الاستشهاد المرجعي بالبحث

حامد حمزة حمد، وليد مهدي مسلم . منظومة المعرفة البشرية والعقل الكوني . - cybrarians journal . - ع 1 (يونيو 2004) . - تاريخ الاثاحة > اكتب هنا تاريخ اطلاعك على الصفحة < . - متاح في: <أنسخ هنا رابط الصفحة الحالية>

المقدمة

يحفل تاريخ المعرفة البشرية بالتطورات المهمة الكبيرة ، ويمكن تقسيمه الى مرحلتين بارزتين:

1- مرحلة الفلسفة النظرية

وهي فترة ترجع جذورها الموعلة في القدم الى الحضارات القديمة المعروفة في بلاد ما بين النهرين ووادي النيل والحضارة اليونانية وقد وجدنا عند الاخيرة اوضح بدايات المعرفة النظرية (الفلسفة) والتي ترجع ابوتها الى طاليس في حدود 585 قبل الميلاد(1) ، ثم تمتد هذه الحقبة لتشمل ظهور الفلسفة الاسلامية واعلامها البارزة مرورا بالعصور الوسطى المسيحية التي يسميها البعض بالعصور المظلمة (5) وهي فترة تميزت بسيطرة الكنيسة على الفكر والحياة في اوربا وتنتهي هذه الفترة عند بداية عصر ما يسمى بعصر النهضة في حدود 1300-1600 للميلاد (1) ومن خلال ذلك يمكننا ايجاز ملخص عن طبيعة الافكار في هذه الحقبة (احتوت النظرات التي قدمتها فلسفة الطبيعة القديمة عن العالم على عدد من الاراء العبقريّة التي كان لها تاثير كبير على تطور العلم مثل النظرية الذرية ومبدأ حفظ المادة وفكرة التطور ولا نهائية العالم الا ان كل ذلك لم يكن يعدو نطاق التاملات التي هي - رغم صوابها - لم تستند على الفحص التجريبي والدراسة المفصلة لظواهر الطبيعة الجزئية (2)

2- مرحلة العلوم التجريبية

وتبدأ بعصر النهضة ما بين 1300 - 1600 للميلاد حيث ظهر المنهج التجريبي لبيكن ومنهج الشك عند ديكارت، ثم طور هذا المنهج لاحقا عند اصحاب الدراسة العقلية من بعده ليعرف فيما بعد باسم منهج البحث العلمي والذي يقوم اساسا على الفحص التجريبي للظواهر في

الطبيعة (1) ، تطورت على اثر ذلك المعارف والعلوم والمجتمع البشري بصورة عامة ولا نزال ضمن الاطار الزمني لهذه الفترة ،لكننا نجد من خلال هذه الدراسة ان هذه الفترة هي الاخرى يمكن ان تنقسم الى حقتين بارزتين :

الاولى: حقبة المعرفة العلمية الاممية
وهي حقبة تتميز بتطور العلوم في بقاع العالم المختلفة بصورة منفصلة عن بعضها البعض وتجد الدراسة بانها تمتد من بداية عصر النهضة وحتى انهيار الاتحاد السوفييتي اواخر القرن العشرين، ويمكن ايجاز حالة التطور العلمي في هذه الفترة بالاتي:
لقد تميزت اغلب الدوافع في تطور العلوم والمعرفة في هذه الفترة بالاممية (القومية) كما حدث في حرب اوربا الاولى والثانية (ما تعرف بالحروب العالمية) وكذلك العقائدية كما حصل في الحرب الباردة بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة وبالتالي فهي فترة انتقالية طارئة وان كانت تمتد الى ما يقارب القرون الثلاثة ، فالدراسة تجد ان هناك تطورا نظاميا في مسيرة المعرفة العلمية للبشر كما سياتي ذكره لاحقا .

الثانية: حقبة العلوم والمعرفة العالمية
وهي حقبة تتميز بزوال الدوافع الاممية والعقائدية بشكل ملحوظ وان كان لايعني زوالها نهائيا ، لكن الملاحظ هو بداية زوال الحدود ما بين الامم والثقافات والشعوب فيما يعرف حاليا بعصر العولمة ، ان الصورة النهائية لهذه الحقبة لم تتضح بعد ، الا ان الدراسة وفي ضوء المعطيات الحالية الاقتصادية والمعرفية تتوقع ظهور الفترة الثالثة من فترات التطور المعرفي فتكون هذه المراحل
1- مرحلة الفلسفة
2- مرحلة العلوم
3- مرحلة المعرفة الموحدة للبشر(منظومة المعلومات الموحدة) ، والمرحلة الاخيرة هي محور هذ الدراسة.

منظومة

المعرفة

البشرية الموحدة

تعد هذه الفترة مستقبلية ولها بدايات اولية تتداخل مع الحقبة الثانية من مرحلة العلوم التجريبية (عصر العولمة) حيث ستؤدي العولمة الى تقريب الافكار العالمية وسيادة الاصلاح منها وقد تفلح في خلق هوية جديدة للأفراد في العالم بالاضافة الى هوياتهم الاممية والعقائدية .

ان منظمة التربية والثقافة والعلوم العالمية UNESCO اليونسكو والشبكة الدولية للمعلومات الانترنت فضلا عن شبكات الاخبار والاعلام الدولية المختلفة هي الاسس الاولية لولادة هذه المنظومة والتي ستخلق الحاجة اليها في ظل عصر التطورات السريعة الذي نشهده انبثاق نظام خاص بها من شأنه ان يكون اطارا معرفيا عاما للجنس البشري باسره .

قد يحسب هذا التوقع تنبؤا .. لكن في الوقت نفسه يمكن تسميته اقتراحا على المدى البعيد لانشاء مثل هذه المنظومة والتي قد يلاحظ اي باحث موسوعي في التطورات الدولية حتمية انبثاقها في ظل التطورات السياسية والاقتصادية التي يشهدها القرن الحادي والعشرين .

ان هذه المنظومة من شأنها برمجة المعلومات التاريخية والعلمية وغيرها من مصادر مختلفة بحيث تظهر في صورة جديدة تكون بها هذه المنظومة "مصدرا" جديدا ومعتمدا وشاملا للمعلومات المطلوبة من قبل اي فرد في هذا العالم خصوصا اذا ما بوبت هذه المعلومات في برامج دولية متفق عليها من قبل الباحثين والمختصين في العالم عبر الشبكة الدولية للمعلومات الانترنت قد يؤدي حدوث ذلك الى تعميم المعرفة وتوحيدها لتصبح في متناول الجميع .

ان انبثاق نظام معرفي عالمي يستند الى المصادر المعرفية الاصيلية من شأنه تثبيت هوية جديدة للمعرفة وذلك بالتاكيد سيضيف هوية جديدة للفرد يعتر بها بالاضافة الى انتماءاته السابقة التي تكون قريبة الى نفسه بالتدرج الاتي :

الاسم الشخصي، اسم العائلة، اسم المدينة ، اسم الوطن او الدولة، القومية او الدين والكونية او العالمية ، قد تكون هذه العالمية موجودة في الوقت الحاضر لكنها ستتعزيز اكثر في ظل نظام معرفي دولي منظم لان الواقع الحالي للعولمة لايرقى الى مستوى المنظومة التي نتوقعها ان تكون امتدادا للتطور المعرفي الطبيعي للمجتمع البشري والذي سيشهد في النهاية تبعا لدرجة التنظيم العالمي (على نطاق المعرفة والعلوم) ولادة ما تسميه الدراسة بـ العقل الكوني او العالمي ، وهي مرحلة متقدمة جدا من تطور منظومة المعرفة البشرية.

العقل الكوني والاقتصاد الكوني Universal mind & Universal Economy

تمر المجتمعات البشرية في الوقت الحاضر بفترة تحول سوف تعيد ترتيب سياسات واقتصاديات القرن القادم فلن يكون هناك منتجات قومية او تكنولوجيات قومية ولاشركات قومية، فالقرن الحادي والعشرين هو بداية لظهور الاقتصاد الكوني ليرسم صورة جديدة تعكس بوضوح اكثر حقائق الاقتصاد في العالم الذي بدأ في الظهور والمجتمعات التي تتشكل تبعا لذلك (3) ، ان دراسة المعرفة وحقول تطورها في هذا البحث تجد بان هناك توافقا عميقا بين التحولات الاقتصادية والتحولات المعرفية وكما هو معلوم فان الاقتصاد عصب الحياة واساس التطور الحضاري والعلمي في هذا القرن ، وتطور اي شيء في هذا العالم يثاثر بصورة كبيرة بالتطور الاقتصادي ، وتزامن ظهور الاقتصاد العالمي ومنظمة التجارة العالمية مع تطور الاعلام العالمي والشبكة العالمية للمعلومات الانترنت ومنظمة التربية والثقافة والعلوم العالمية UNESCO اليونسكو دليل على ان الاقتصاد والمعرفة يسيران باتجاه نقطة واحدة وهي العالمية او الكونية

ولا يقتصر هذا التوافق بين الاقتصاد والمعرفة على هذا القدر فحسب بل يتعداه الى بعد خفي وربما غير متوقع .. وهو ازدياد الثقل الاقتصادي للعلماء والمخترعين والاستراتيجيين وذوي الخبرات والمهارات على مستوى الاقتصاد العالمي ، ففي العام 1920 كان يذهب اكثر من 85% من تكلفة سيارة لدفع اتعاب العمال الروتينييين والمستثمرين ، وفي عام 1990 حصلت هاتان المجموعتان على اقل من 60% بينما ذهب الباقي للمصممين والمهندسين وواضعي الاساليب والمخططين والاستراتيجيين وخبراء المال والمديرين التنفيذيين والمحامين والمعلمين والتسويقيين ، اما اليوم فيذهب اكثر من 85% للتصميمات المتخصصة والخدمات الهندسية وبراءات الاختراع وحقوق المؤلف على المكتشفات السابقة ، وبينما تتضائل بانتظام اجزاء الناتج القومي الاجمالي التي تذهب للعمالة الروتينية والمستثمرين ، فان الجزء الذي يذهب الى الذين يقومون بالتعرف على المشاكل وحلها كان ينمو بانتظام (3) وهكذا فان الشكل الجديد للاقتصاد العالمي في القرن الحادي والعشرين سيكون اقتصاد عالمي يعتمد على مهارات ذات قيمة عالية مرتفعة بدلا من

العمالة الروتينية ورأس المال (3) ، ولعل العبارة الأخيرة مثيرة للاهتمام ، فهي تهديد صريح للراسماليين من خلال بيان أن المهارة والخبرة بدأت تظهر كقوة فاعلة بدلا من رأس المال... لكن من هم أصحاب المهارات والخبرات؟؟

إن الذين سيعتمد عليهم الاقتصاد الكوني في المستقبل هم بلا ريب الذين ستعتمد عليهم منظومة المعرفة البشرية التي ستتحول بعد تدرج عالٍ في التنظيم إلى العقل الكوني

إن انبثاق النظام الاقتصادي الجديد والنظام المعرفي الجديد على نفس الدعائم البشرية في العالم والمتمثلة بالعلماء والمخترعين والاستراتيجيين والاقتصاديين ورجال القانون البارزين وأصحاب المهارات والكفاءات في المجالات العلمية والثقافية دليل على أن التحول إلى العالمية حتمي ومؤكّد والمسألة مسألة وقت لا أكثر لظهور دستور علمي عالمي ودولة عالمية يحكمها علماء وخبراء ومتقنوا الجنس البشري ، بحيث يكون الاقتصاد الكوني والعقل الكوني وجهان لعملة واحدة هي الجمهورية الكونية ، قد لا نستطيع التكهّن أكثر بتفاصيل هذه الجمهورية ونظامها السياسي والاقتصادي أو العقائدي ، لكن ومن خلال لمحة عابرة على واقع التطور التاريخي للجنس البشري فإن العلم ومنهج البحث العلمي هو عقيدة وسياسة واقتصاد جمهورية المستقبل

التوصيات

- 1- تحتاج منظومة المعرفة البشرية إلى انعقاد مؤتمر علمي عالمي لتأسيس مجلس علمي عالمي يضم أبرز العلماء والمتخصصين وأصحاب الكفاءات العالية في العالم
- 2- يحدد المجلس علماء ذو اختصاصات بارزون لوضع آلية علمية خاصة لإدارة هذا المجلس
- 3- يشكل المجلس لجان علمية في الاختصاصات الثقافية والعلمية لتحديد أهم المصادر العلمية والثقافية للمعلومات ودراساتها على مدى سنوات ومن ثمّ برمجتها لتكون في متناول أفراد الجنس البشري كمعلومات ثابتة عبر الشبكة الدولية للمعلومات ، وكلما تطورت عملية التثبيت المعرفي كلما اقتربنا من منظومة معرفية متطورة ، حتى نصل في النهاية وبعد درجة عالية من التنظيم إلى خلق العقل الكوني والذي سيكون بحق في آخر المطاف أروع وأعظم إنجاز للجنس البشري في مسيرة التاريخ وعندها سوف لا يكون هذا العقل مصدر التطور والتحضّر البشري في

مستقبله وحسب وانما مركز هائل لادارة الجمهورية الكونية.
4- بالامكان البدء بتأسيس هذه المنظومة على مستويات اقليمية ، ونقترح ان تبدأ في عالمنا العربي او الشرق الاوسط بتأسيس مجلس لعلماء وخبراء واختصاصيي الشرق الاوسط ، ان انبثاق مثل هذه المجالس على الصعيد الاقليمية سيسهل اكثر انبثاق المجلس العلمي العالمي.

الهوامش

- 1- احمد، قيس هادي. نظرية العلم عند فرانسيس بيكن . - الطبع الثانية . - بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة، 1986 . - ص 15-38
- 2- محمد عبد اللطيف مطلب. الفلسفة والفيزياء . ج 2 . - بغداد : دار الحرية للطباعة، 1985 . - ص 13-14
- 3- رايتش، روبرت. ب. اقتصاد الامم ورسمية القرن الحادي والعشرين / ترجمة سمية شعبان . - القاهرة : الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية ، 1999 . - ص 19-131

4- Williams, Henry Smith. A history of science V1.- Available at [http://jollyroger.com/zd/a_history_of_science WH forum/shakespeare1.html](http://jollyroger.com/zd/a_history_of_science_WH_forum/shakespeare1.html)

5- Lloyd, G.E.R..Early Greek science: Thales to Aristotle.- New York : W.W. Norton& company,1970.156 p.